# فن التعامل النبوي مع غير المسلمين

أ.د

راغب السرجاني

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٢٤٥٠٣

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

السرجاني ، راغب

فن التعامل النبوي مع غير المسلمين/ راغب السرجاني

القاهرة: دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١٠

ص ٢٥٦، ٢٤ سم

١- أخلاق الرسول ﷺ ٢- الإسلام والديانات الأخرى

أ. العنوان ٢٣٩,٦

مركز السلام للتجهيز الفني

عبد الحميد عمر

٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

أقلام

(ش.م.م) إعلام . نشر . ترجمة

www.aqlamonline.net

٣٢٩ ش بورسعيد - السيدة زينب القاهرة

عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ[1]. فَقَالاَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ. فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[2].

(١) أي: جنازة غير مسلم من أهل تلك الأرض.

(٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي (١٢٥٠)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، (٩٦١)، واللفظ له.

# المقدمة

باسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فإن التشريع الإسلامي قد بلغ الذروة في الكمال والإتقان، وإنه قد بلغ الغاية في الإبداع، ويكفي في وصف هذا التشريع المحكم ما ذكره ربنا في كتابه في أخريات ما نزل من القرآن الكريم عندما قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾

[المائدة: ٣].

فالدين كامل ليس فيه نقص، والنعم تامة لا يعتريها قصور، والتشريع لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وبيَّن حكمها وطريقة التعامل معها، يقول تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨]. ويقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ»[1].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٤٣)، وأحمد في مسنده (١٧١٨٢)، والحاكم في المستدرك (٣٣١)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

ولا شكَّ أيضًا أن حياة رسولنا ﷺ كانت تطبيقًا عمليًّا لكل حُكم من أحكام الشريعة، فخرَّجت لنا هذه الحياة في شكلٍ بديعٍ، شمل كل المتغيرات التي من الممكن أن تقابل الفرد أو الجماعة، أو الأمة ككل.

فالرسول ﷺ تعامل في حياته مع كل الطوائف التي من المحتمل أن يتعامل معها المسلمون، ومر بكل الظروف التي من الممكن أن تمر بها الأمة الإسلامية؛ فهذه ظروف حرب وهذه ظروف سلم، وهذه أيام غنى، وهذه أيام فقر، وهذه فترات قوة، وهذه فترات ضعف.

ولقد شهدت السيرة النبوية إعجازًا إلهيًّا واضحًا جليًّا في تكثيف كل الأحداث التي من الممكن أن تواجه المسلمين في أي زمان وفي أي مكان، وذلك في ثلاث وعشرين سنة فقط؛ حتى يتحقق التوجيه الرباني الحكيم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولقد تعامل رسول الله ﷺ مع كل الأمور التي واجهته بطريقة فذة، وبسنة مطهرة أخرجت لنا كنوزًا هائلة من فنون التعامل، ومن آداب العلاقات، وبرز في كل ذرة من ذرات حياته العنصر الأخلاقي، كعنصر مؤثر تمامًا على كل اختيار من اختياراته ﷺ، فلا يخلو -حقيقةً- أيُّ قول أو فعل له ﷺ من خُلُقٍ كريم، وأدب رفيع، بلغ إلى هذه الذروة، ووصل -بلا مبالغة- إلى قمة الكمال البشري، وهذا الذي نستطيع أن نفهم منه قوله ﷺ:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»[١].

وهكذا فلا يخلو موقفٌ ولا حدثٌ ولا قولٌ، ولا ردُّ فعلٍ من بروزٍ واضح لهذه الأخلاق الحميدة، حتى في المواقف التي يصعب فيها تصور الأخلاق كعاملٍ مؤثرٍ، وذلك كأمور الحرب والسياسة، والتعامل مع الظالمين والفاسقين والمحاربين للمسلمين والمتربصين بهم.

لقد كانت معضلة حقيقية عند كثير من المتعاملين بالسياسة أن تنضبط تعاملاتهم بأُطُر أخلاقية وضوابط إنسانية، ولكن الدارس للسيرة النبوية، المتمعن في مواقفها يجد هذه الأطر وتلك الضوابط الأخلاقية واضحة في كل مواقف السيرة بلا استثناء.

ولا غرو، فهذا الخلق هو الذي وصفه الله ﷻ بالعظمة، حيث قال ﷻ يخاطبه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

ومن هنا فإن العظمة في سيرته ﷺ لا حدود لها؛ فهي عظمة في النظرية، وعظمة أيضًا في التطبيق.. لقد أثبت رسول الله ﷺ أن القواعد المثالية الراقية التي جاءت في كتاب الله ﷻ ما هي إلا قواعد عملية قابلة للتطبيق، وأنها صالحة لتنظيم حياة البشر أجمعين، وأنها الدليل الواضح لمن أراد الهداية بصدق. كما كانت حياته ﷺ ترجمة صادقة لكل أمر إلهي، وقد

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تلخيصه: على شرط مسلم. وكذلك رواه البيهقي في سننه (٢٠٥٧١)، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (٤٥).

صَدَقَت ووُفِّقت أم المؤمنين عائشة[١] رضي الله عنها في وصف أخلاقه ﷺ عندما قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[٢].

## لماذا يحاربون الإسلام؟

ومع كون هذه الأخلاق جليلة، وبرغم أن هذه الحياة النبيلة مسجَّلة وموثَّقة، إلا أن الكثير والكثير من البشر تجدهم يُنكرون ذلك ويكذبونه، بل إنهم يتجاوزون مرحلة الإنكار والتكذيب إلى ما بعدها من سبٍّ وقذفٍ وطعنٍ وتجريح!!

ويقف الإنسان أحيانًا حائرًا مدهوشًا أمام هذه التيارات المهاجمة للإسلام، والطاعنة في خير البشر، وسيِّد ولد آدم عليه السلام، ويتساءل متعجبًا: كيف لم تر أعينهم النور الساطع؟! وكيف لم تدرك عقولهم الحق المبين؟! وإن هذه الحيرة وتلك الدهشة لتزول، ويتلاشى معها العجب والاستغراب عندما ننظر في أحوال هؤلاء المنكرين المكذبين الطاعنين اللاعنين..

إنهم ما بين حاقد وجاهل..

أما الأول: فلا ينقصه علم ولا دراية، إنه رأى الحق بوضوح، ولكنه آثر -طواعيةً- أن يتَّبع غيره. أما لماذا خالف وأنكر فلأسباب كثيرة: فهذا

---

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة. كانت أحب زوجاته ﷺ إلى قلبه، وكانت من علماء الصحابة، توفيت سنة ٥٨ هـ. انظر: ابن حجر: الإصابة، الترجمة رقم (١١٤٤٩)، وابن الأثير: أسد الغابة ٦/ ١٩١.

(٢) رواه أحمد (٢٥٣٤١)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ورواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨)، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٤٨١١).

محبٌّ لدنياه، وذاك مؤثرٌ لمصالحه، وهؤلاء يتبعون أهواءهم، وأولئك يغارون ويحسدون.

إنها طوائف منحرفة من البشر لا ينقصها دليل، ولا تحتاج إلى حُجَّة، وفيهم قال ربنا ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وهذه الطائفة تشمل أكابر المجرمين، ورءوس الفتنة والضلال، وأتباع إبليس اللعين، وهم موجودون في كل زمن، ولا يخلو منهم عهد نبي ولا صِدِّيق ولا صالح، فهم أعداء الخير في كل مكان، ودُعاة الإفساد والرذيلة في كل وقت وحين.

وهؤلاء -وإن كانوا يقفون في خندق إبليس- إلا إنهم يتخذون لأنفسهم قادة من البشر أشقياء، قد ماتت ضمائرهم، وفسدت فطرتهم، واسودَّت قلوبهم، وعميت أبصارهم، فاختاروا لأنفسهم ولأقوامهم طريق الضلال والغواية، وأعرضوا كل الإعراض عن كل دليلٍ يقود إلى خير، ووجَّهوا جُلَّ اهتمامهم إلى حرب المصلحين والشرفاء!

ومن هذا الفريق كان فرعون وهامان وقارون، ومنه كان أبو جهل وأُبي بن خلف وأبو لهب، ومنه كان كسرى وقيصر، ومنه كان حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف.

من هؤلاء من تزيَّا بزيِّ الملوك والسلاطين، ومنهم من تزيا بزي الأحبار والرهبان.. منهم من أمسك السيف وقاتل، ومنهم من أمسك

القلم وطعن.. منهم اليهودي والنصراني والمشرك والمجوسي، ومنهم الملحد الذي ينكر الألوهية أصلاً، بل إن منهم المسلم ظاهرًا المنافق باطنًا!! وما قصة عبد الله بن أبيّ ابن سلول عنَّا بخافية.

إنه فريق خطير يحتاج المسلمون دائمًا إلى كشف أوراقه، وإلى فضح مخططاته ومؤامرته، وإلى تحذير العالمين من شروره وآثامه.

ومع كون هذا الفريق على هذه الدرجة من الخطورة، إلا إنهم -بفضل الله- قلة، ولا يمثلون في تعداد المكذبين للدين، والطاعنين في الأنبياء والصالحين إلا قطراتٍ في يمٍّ واسع..

فمَن فرعون وهامان وقارون بالقياس إلى شعب مصر؟ ومن أبو جهل وأُبي بن خلف وأبو لهب بالنظر إلى شعب مكة؟ ومن كسرى إذا اطَّلَعْت على سكان العراق وفارس وما حولها؟ ومن هرقل في نصارى الشام والأناضول وأوربا..؟!

إن هذه الطائفة التي تقاتل الدين عن رغبةٍ وقصد، وتحارب الفضيلة والأخلاق عن عمدٍ ودراية، وتنهش في أعراض الصالحين وهي متلذذة مستمتعة - هذه الطائفة قليلة بالقياس إلى أعداد من يطعنون في الدين، ويحاربونه، ويصدون الناس عنه.

وإذا كان هؤلاء قلة، فتُرى من هم السواد الأعظم من المنكرين المكذبين؟!

إنهم الفريق الثاني الذي يتبع قادة الكفر والضلال، إنهم «عموم الناس»

الذين لم يعرفوا الدين من مصادره الصحيحة، إنما صُوِّر لهم على أنه بدعٌ منكرة، أو تقاليد بالية، أو أفكار منحرفة، فانساقوا كالقطيع وراء الأبالسة، وساروا في ركابهم إلى هاويتهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا!!

إنهم فريق الجُهَّال الذين ينقصهم العلم، أو البسطاء الذين يفتقرون إلى شرحٍ وتوضيح، أو حتى العقلاء الذين يحتاجون إلى دليلٍ وبرهان.

إن هذا الفريق الثاني يحتاج ببساطة إلى «العلم»!..

إنه لا يقاتل رغبةً في القتال، ولا يَسُبُّ حبًّا في السِّباب، ولا يهاجم الإسلام أو يطعن في رسول الله ﷺ عن عقيدةٍ وفكرٍ وتصميم.

إنهم المساكين من العوام!!

إنها الشعوب الهائلة، والأمواج المتلاطمة من البشر!!

إنهم «عموم الناس»!!

وراجعوا التاريخ وتدبروا صفحاته..

هل حاربت شعوب فارس الإسلام؟ أم أن ذلك حصل على يد كسرى وطائفة حوله من المنتفعين من الوزراء والأمراء ورجال الدين، ثم ثُلَّة من الجنود المقهورين؟ إن الشعب الفارسي ظل قرونًا وأعوامًا يؤمن أن إلهه النار، ويؤمن أيضًا أن قائدهم «كسرى» من سلالة مقدسة طاهرة، وأن الدين الصحيح هو دين مزدك[1] وأتباعه.

---

(١) مزدك: فيلسوف فارسي معروف، ظهر في أيام كسرى قباذ والد أنو شروان، ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه، واطَّلع أنو شروان على افترائه فطلبه فقتله، وكان قد أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها.

ثم مرت الأيام وحُملت رسالة الإسلام بيضاء نقية إلى هؤلاء المساكين الغافلين، ورُفعت عن عيونهم الغشاوة، وأُزيل من آذانهم ما وضعه قادتهم وزعماؤهم من موانع السمع، ومن أسباب الضلال، فما هي إلا أيام معدودات حتى أدرك «عموم الناس» ما كانوا فيه من تخبط، وشاهدوا بعيونهم وعقولهم وقلوبهم عظمة التشريع وجمال الإسلام، واطَّلعوا عن قربٍ على أخلاق الرسول ﷺ الرفيعة، وعلى مواقفه وأقواله الحكيمة، فاختاروا الإسلام عن رغبةٍ وحبٍّ، لا عن إكراهٍ وغصب.

إننا -والله- لا نحتاج إلى إكراه في الدين، ولا نسعى إلى إرغام على عقيدة، فضلاً عن أننا مأمورون بالامتناع عنها، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

لقد تبيَّن لشعب فارس الرشد من الغي، لقد رأوا الحق وميزوا بينه وبين الباطل بوضوح، واختار جُل الشعب طريق الفطرة التي زرعها الله ﷻ في سويداء قلوب عباده، ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ [الروم: ٣٠]، وأسلم غالب شعب فارس، ولم يستمر في الإنكار والتكذيب والمقاومة إلا رءوس الكفر وأئمة الضلال.

وما قلناه عن شعب فارس ينطبق على شعوب الشام ومصر وشمال إفريقيا، بل وعلى نصارى الأندلس والأناضول وشرق أوربا، وكذلك ينسحب على شعوب شرق وغرب إفريقيا، وعلى إندونيسيا وأرض الملايو والهند وغيرها.

إن حجة الله بالغة، ودينه غالب..

لا بسيفٍ ولا سلاح، ولكن بدليلٍ وبرهان!!

إنه يكفيك أن تعرض رسالة الإسلام، وأن تشرح أحوال وأخلاق وطبائع النبي العظيم رسول الله ﷺ؛ فيكون هذا سبيلاً لهداية السواد الأعظم من الناس.

من هنا نفهم ما ذكره ربنا ﷻ في كتابه عندما حدَّد بوضوح وظيفة الأنبياء ومهمتهم حين قال: ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥]. وقال: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]. وقال أيضًا: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢].

ومثال ذلك في القرآن كثير، وحصره يصعب ويطول.

والسؤال المُلِحّ: ماذا يحدث إن قصَّر المسلمون عن حمل رسالتهم، وتوضيح شريعتهم، وشرح أخلاق نبيهم ﷺ؟!

إن هذا التقصير يفتح الباب لقادة الأفكار المنحرفة، ولأئمة الضلال والغواية أن يشرحوا الإسلام من وجهة نظرهم، وأن يُلبِّسوا على الناس دينَهم.

إن الناس تحتاج إلى قائدٍ ودليل، فماذا يحدث إن تكاسل المؤمنون عن دورهم في تعريف الناس بديننا وبرسولنا ﷺ وبأخلاقنا وقِيمنا؟!

يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].

ومن هنا نفهم المقولة الرائعة الموفَّقة التي نطق بها الصحابي الجليل ربعي بن عامر[٢] وهو يشرح ببساطة دور المسلمين في الأرض، ومهمتهم في الحياة..

لقد قال في إيجاز حكيم: «الله ابتعثنا لنُخرِج مَن شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَور الأديان إلى عَدل الإسلام»[٣].

إنها المهمة الجليلة التي يجب أن يضعها المسلمون نُصب أعينهم على الدوام؛ إذ إنَّ جُلَّ من يُحاربنا لا يعرفنا، وغالب من يكرهنا لم يَطَّلِع على حقيقة أمرنا.

إننا نحتاج إلى إبراز مواطن العظمة والكمال في ديننا، وفي حياة نبينا ﷺ.. نحتاج أن نتحدث عن أنفسنا بأنفسنا، وأن نكتب عن أخلاقنا بأقلامنا، وأن نتحدث عن رسولنا ﷺ بألسنتنا.

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١٠٠)، ومسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه (٢٦٧٣)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) ربعي بن عامر: صحابي جليل من صحابة النبي ﷺ شهد فتوح فارس، وبعثه سعد بن أبي وقاص إلى رستم رسولاً، وولاّه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. انظر: ابن حجر: الإصابة، الترجمة رقم (٢٥٦٧).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٤٣.

لقد دخلتُ أكثر من مكتبة عملاقة في أوربا وأميركا لأرى الكتب التي تتحدث عن الإسلام أو عن رسولنا ﷺ باللغة الإنجليزية، فوجدت العشرات بل المئات، ولكن -يا للأسف- معظمها كُتبت بأيدٍ غير مسلمة!..

فقليل أنصف ودافع، وكثيرٌ ظَلَمَ وجَحَدَ وكَذَّبَ وافترى..

أين المسلمون؟!

أليس من ميادين الجهاد العظيمة أن يُكتب عن دين الإسلام وعن رسوله ﷺ ما يشرح الجمال والكمال والجلال لعباد الله أجمعين؟!

ألا يجب أن نغطي هذا المجال من كل جوانبه وبكل تفصيلاته؟!

ألا يجب أن نصل إلى الشعوب المسكينة التي أعماها الجهل، وغطَّى الرانُ على قلوبها، فما رأت عظمة الإسلام وأخلاقه وتشريعاته؟!

ألا يجب أن تُترجم كل هذه الفضائل إلى كل لغات العالم المشهورة وغيرها؛ حتى نقيم حجة الله تعالى على خلقه؟

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

ألا نشعر بالحرج ونحن نرى «عموم الناس» يعيشون في حياتهم ليأكلوا ويشربوا ويتمتعوا فقط، وهم عن عبادة ربهم غافلون؟!

ألن يحاسبنا ربنا عن الملايين الذين زهدوا في الإسلام، وكرهوا رسولنا ﷺ لأنهم لم يسمعوا عنه إلا من وسائل الإعلام اليهودية وما شابهها، ولم

يقرءوا عنه إلا بأقلام المغرضين والملحدين؟!

إن المهمة بعدُ ثقيلة، والتبعية جِدُّ عظيمة..

إن العالم يحتاج لكمال شريعتنا، ويفتقر إلى قيادة رسولنا ﷺ، وليست مهمة البلاغ بالهينة؛ فالأعداء متربصون، وإبليس لا يهدأ، والمعركة على أشدها، ومع ذلك فنُصْب أعيننا قول ربنا يُثَبِّتَ قلوبنا، ويرسخ أقدامنا: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٢١].

وبين أيدينا هذا الكتاب -الذي أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه- نفتح فيه صفحةً واحدةً من الصفحات الباهرة في ديننا، وفي سيرة رسولنا الكريم ﷺ. نَصِف فيها كيف تعامل الرسول الأعظم والنبي الأكرم محمد ﷺ مع غير المسلمين.

إنها صفحة بيضاء نقية، ما أحسب أن الفلاسفة والمنظِّرين والمفكرين قد تخيلوا مرة في أحلامهم أو أوهامهم أنها يمكن أن تكون واقعًا حيًّا بين الناس، حتى إن أفلاطون[١] في جمهوريته والفارابي[٢] في مدينته الفاضلة،

---

(١) أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م): فيلسوف ومعلم يوناني قديم، يُعَدُّ واحدًا من أهم المفكرين في تاريخ الثقافة الغربية، حتى إن الفلسفة الغربية اعتبرت أنها ليست إلا حواشي لأفلاطون. وكلمة (أفلاطون) كنية تعني ذا الكتفين العريضتين، أما اسمه الحقيقي فهو «أرستوكليس». من أشهر كتبه: جمهورية أفلاطون.

(٢) أبو نصر محمد الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩هـ): فيلسوف أتقن علوم الفلسفة، وبرع في العلوم الرياضية، وكذلك الطب وإن لم يمارسه. يُنسب إلى فاراب، وهي جزء مما يعرف اليوم بتركستان. من أشهر كتبه: المدينة الفاضلة.

وتوماس مور[١] في مدينته الفاضلة الثانية (اليوتوبيا) لم يصلوا في الأحلام والتنظير إلى معشار معشار ما كان عليه رسولنا ﷺ في حقيقته وواقعه.

وأحب أن أُنبِّه أنني سأتناول في هذا الكتاب تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين من المسالمين المعاهدين، ولن أتناول الحديث عن أعدائه أو الأسرى؛ ذلك لأنهم ليسوا أفرادًا في المجتمع المسلم، وسوف نُفْرِد لهم كتابًا قادمًا إن شاء الله تعالى.

ويا ليت المسلمين يدركون قيمة ما في أيديهم من كنوز فيدرسونها ويُطبِّقونها، ثم ينقلونها إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ ليسعدوا وتسعد بهم البشرية، وليكونوا سببًا في هداية الناس لرب العالمين.

***

(١) توماس مور: قديس وفيلسوف وسياسي إنجليزي، اشتهر بكتابه المدينة الفاضلة (اليوتوبيا). ولد سنة ١٤٧٨م، وتوفي سنة ١٥٣٥م.

# الفصل الأول
# نظرة الإسلام إلى النفس الإنسانية